تقرير أولي عن نهب وسرقة المدافن الأثرية بمنطقة سركمتو

أ. حذيفة عبدالماجد عبدالباقي
مفتش آثار- الهيئة العامة للأثار والمتاحف -السودان

المستخلص:

من خلال هذه التقرير نحاول تسليط الضوء على ظاهرة نهب وسرقة المدافن في احد المواقع الاثارية المهمة وهو موقع سركمتو في منطقة السِكَّوت شمال السودان، حيث يحتوي هذا الموقع على مجموعة كبيرة من المدافن الأثرية ترجع لفترات مختلفة من التاريخ الحضاري السوداني، ومن خلال الشكل الخارجي لهذه المدافن وعن طريق المقارنة بمواقع مشابهه يمكننا تمييز عدة مدافن على وجه الخصوص المدافن المروية الهرمية المشيدة من الطوب اللبن والحجر بالإضافة الى مدافن الأكوام الدائرية والمدافن المسيحية وربما مدافن ترجع لفترة المملكة المصرية الحديثة، وقد تعرض هذا الموقع الى عمليات نهب وتخريب متعمد، بواسطة لصوص الأثار والباحثين عن الكنوز واللقى الأثرية الثمينة، وضمن زيارات تفتيشية اثناء العمل مع مشروع المسح في الصحراء الشرقية (Atabi Survey Project) بقيادة الأسترالي جوليان كوبر في موسمي (2018 و 2019) تم العمل على توثيق هذا الموقع والوقوف على عمليات السرقة والنهب التي يتعرض لها هذا الموقع الأثري.

الكلمات المفتاحية: المدافن، سركمتو ، النهب والسرقة ، بقايا أثرية .

Looting and Theft to Archaeological Tombs at Sarkemetto Site

A.Hozaifa Abdelmgid Abdelbagi

Abstract:

In this report, we attempt to shed light on the phenomenon of grave looting and theft through an important archaeological site in Sarkamtto, located in the Sikoot region of northern Sudan. This site contains a large number of archaeological tombs dating back to various periods of Sudanese cultural history. By examining the external appearance of these tombs and comparing them to similar sites, we can distinguish several types of tombs, particularly the Meroitic pyramid tombs constructed from mud brick and stone, in addition to circular mound tombs, Christian tombs, and possibly tombs from the New Kingdom of Egypt. This site has been subjected to deliberate acts of looting and vandalism by treasure hunters and antiquities thieves in

search of valuable artifacts. During inspection visits while working with the Atabi Survey Project in the Eastern Desert, led by Australian Julien Cooper during the 2018 and 2019 seasons, efforts were made to document and assess the looting and theft at this archaeological site.
Keywords: Tombs, Sarkamtto, Looting and theft, Archaeological remains.

المقدمة:

إن ظاهـرة نهـب وسرقـة المدافـن الأثريـة ليسـت بالأمـر الحديـث فقـد تُنهـب المدافـن احيانـاً بينـما تكـون المقـبرة قيـد الاسـتخدام، وقـد اسـتمرت ظاهـرة النهـب والسرقـة إلى وقتنـا الحـاضر وذلـك بغـرض اسـتخراج القطـع الأثريـة مـن اجـل المتاجـرة بهـا، امـا لقيمتهـا الماديـة أو التاريخيـة عـلى الرغـم مـن وجـود القوانـين والتشريعـات التـي تمنـع العمـل الاثـري غـير المنظـم والإتجـار غـير المـشروع بالـتراث الثقـافي المـادي، حيـث يلاحـظ أن الاتجـار غـير المـشروع بالممتلـكات الثقافيـة عـلى المسـتوى الـدولي يتزايد باسـتمرار في كل أنحـاء العـالم. وقـد باتـت ممارسـات السرقـة والنهـب والسـلب و / أو الاسـتيراد والتصديـر غـير المـشروع للممتلـكات الثقافيـة معروفـة تمـام المعرفـة. وذلـك يؤثـر عـلى المتاحـف، والمواقـع الأثريـة في جميـع أنحـاء العـالم. وقـد يضطلـع المجرمـون، بحسـب الوسـائل المتاحـة لديهـم والطموحـات التـي تدفعهـم بعمليـات معقـدة لسرقـة القطـع، ثـم لتصديرهـا بصـورة مبـاشرة أو غـير مبـاشرة إلى بلـدان مختـارة يحصلـون فيهـا عـلى مبالـغ طائلـة مـن مشـترين راغبـين في اقتنـاء هـذه القطـع (اليونسـكو، 2006) . أشـار عـالم الأثـار داوس دنهـم في مجلـة المدافـن الملكيـة الكوشـية RCK الى وجـود عمليـات نهـب قديمـة للمدافـن الملكيـة في موقعـي الكـرو ونـوري وذلـك مـن خـلال وجـود قطـع أثريـة وجـدت في غـير مكانهـا اثنـاء عمليـات التنقيـب في هـذه المواقـع المـواد التـي تـم العبـث بهـا نتيجـة للنهـب القديـم والأشـياء الموجـودة في حطـام اللصـوص ليسـت بالـضرورة مـن القـبر المحـدد الـذي تـم العثـور عليهـا فيـه، ربمـا تـم إسـقاطها مـن قبـل اللصـوص الذيـن كانـوا ينهبـون قـبرًا آخـر، أو ربمـا تـم إحضارهـا إلى مـكان العثـور عليهـا مـن قبـل لصـوص في تاريـخ لاحـق، وتكـون معـاصرة للصـوص وليـس للقـبر الـذي تـم العثـور عليهـا فيـه» (Dunham, 1950). أيضـاً ذكـر (Dunham) وقـد اورد دواس دنهـام مـا يـاتي:

"Everyone of the pyramids at Nuri had been anciently entered by plunderers. Their almost universal method of penetration into the subterranean chambers was by digging a hole through the original filling of the stairway at its western end, adjacent to the doorway which gave access to these chambers". (Dunham: 1950)

«أن اللصـوص قـد دخلـوا الى كل الأهرامـات في موقـع نـوري قديمـاً وكانـت طريقتهـم في اخـتراق الغـرف الموجـودة تحـت الأرض هـي حفـر حفـرة خـلال الحشـوة الأصليـة للسـلالم الموجـودة في نهايتهـا الغربيـة، بجـوار المدخـل الـذي يـؤدي إلى هـذه الغـرف» . (Dunham: 1950) وعنـد الوصـول إلى الجـزء العلـوي مـن المدخـل المسـدود، تتـم إزالـة مـا يكفـي مـن السـد للسـماح بالدخـول إلى الغـرف التـي

لم تكن مثقلة بالحطام وقت اختراق اللصوص لها، وفي معظم الحالات، كان جزء كبير جداً من المحتوى الأصلي لغرف الدفن قد تم نقله بعيدًا أو تفتيته بواسطة اللصوص. وكان يتم نقل هذه الغنائم غالباً بطريقة متسرعة وغير مبالية إلى حد ما، حيث تم العثور على جزء كبير من الأشياء التي يمكن نسبها إلى الأدوات الأصلية للمقبرة في حطام اللصوص خارج مدخلها، أو في المواد المنجرفة التي ملأت الحفرة التي تركها اللصوص لاحقًا مفتوحة، ومن الواضح أن بعض أعمال النهب في نوري حدثت بينما كانت المقبرة لا تزال قيد الاستخدام ومع ذلك، فإن الجزء الأكبر من أعمال النهب كان في وقت لاحق. (Dunham، 1957) .

أيضاً هنالك السرقة الأشهر في التاريخ السوداني لهرم الملكة أماني شخيتو Beg N6 بأهرامات بالبجراوية بواسطة صائد الكنوز الإيطالي جيوسبي فرليني الذي وصل إلى السودان في عام 1830 م كطبيب عسكري في خدمة جيش الاحتلال المصري، عندما قرر ترك الخدمة في عام 1834م وتقدم بطلب إلى الحاكم العسكري المصري للحصول على إذن بالتنقيب، «راغباً في تقديم بعض الإسهامات المفيدة للتاريخ» وكانت أولى عمليات التنقيب التي قام بها في ود بانقا والمصورات الصفراء، ولكنها فشلت في تحقيق النجاح الذي كان يأمله، كان الأمر مخيباً للآمال على نحو مماثل عندما أجرى تجارب على أنقاض مروي وبعض الأهرامات الصغيرة المتأخرة في المقابر الملكية، فقرر فيرليني «أن يقوم بمحاولة أخيرة على أحد الأهرامات الكبيرة الواقعة على حافة التل». ووقع اختياره على هرم الملكة أماني شخيتو. و وفقاً لرسومات كايو، كان هذا الهرم واحداً من أفضل الأهرامات المحفوظة من بين الأهرامات التي لا تزال قائمة في ذلك الوقت كان ارتفاعه لا يزال نحو ثمانية وعشرين متراً، ولم يكن هناك سوى بضع طبقات مكسورة من الحجارة في قمته، وكان هناك شق طويل يمتد عبر سطح وجهه الشرقي، وقد قام فرليني بتفكيك هذا الهرم ونقل محتوياته التي تمثلت في كنز الكنداكة أماني شخيتو الى أوربا (Priese, 1993)، والى جانب هذا هنالك العديد من عمليات النهب للمواقع الأثرية في السودان حدثت للمدافن تم توثيقها بواسطة أعمال البعثات الأثرية سواء ان كان ذلك اثناء استخدام المقبرة او في الفترات اللاحقة، ومؤخراً أصبحت هذه الظاهرة في تزايد، على وجه الخصوص مع انتشار التعدين العشوائي عن الذهب، وقد أدى هذا الى تخريب العديد من المواقع الأثرية، نحاول تسليط الضوء على ذلك من خلال المدافن المنهوبة في موقع سركمتو والذي يتعرض للنهب بصورة مستمرة، وقد تمت ملاحظة ذلك اثناء زيارات تفتيشية لهذا الموقع في موسمي 2018 و 2019، ضمن اعمال مشروع Atabi Survey Project في الصحراء الشرقية بقيادة الأسترالي Julien Cooper.

المدافن الأثرية في سركمتو:

يقع الموقع في قرية سركمتو شمال السودان وهي على الضفة الشرقية لنهر النيل يحدها شمالاً قرية عكاشة أما جنوباً قرية فركة والى الشرق صحراء العتمور، إحداثيات الموقع الأثري (21° 1‹22.71«E‹56.58›35°30 ، N) ويبعد 7 كلم إلى الشمال المنطقة السكنية وعلى بعد حوالي 400 متر من الضفة الشرقية لنهر النيل. تمت زيارة الموقع في عامي 2018م و2019م حيث سافر فريق

العمل في الصحراء الشرقية (Atabi Survey Project) إلى موقع سركمتو للمساعدة في تسجيل البقايا الأثرية بالقرب من موقع نقوش المملكة المصرية الحديثة الذي تعمل عليه بعثةSARS بقيادة فيفيان ديفز . واتضح من المسوحات الأولية للموقع أن هناك مقبرة واسعة تقع في وادٍ يمتد من الشمال إلى الجنوب(الشكل رقم 1)، ومن المرجح أنها تعود إلى فترة مروي وما بعد مروي (عبد الباقي، 2019).

الشكل رقم (1) يوضح الموقع الجغرافي (لموقع سركمتو الأثري)

سجلت بعثة مشروع مسح الصحراء الشرقية ووثقت المقابر المرئية على السطح، بينما أجرى بول وردز من بعثة SARS التصوير بطائرة بدون طيار الشكل رقم 2)، تم مسح الموقع سابقاً كجزء من عمل توني ميلز Tony Mills وتم تقديمه ونشره بواسطة David Edwards ((Cooper, 2019.

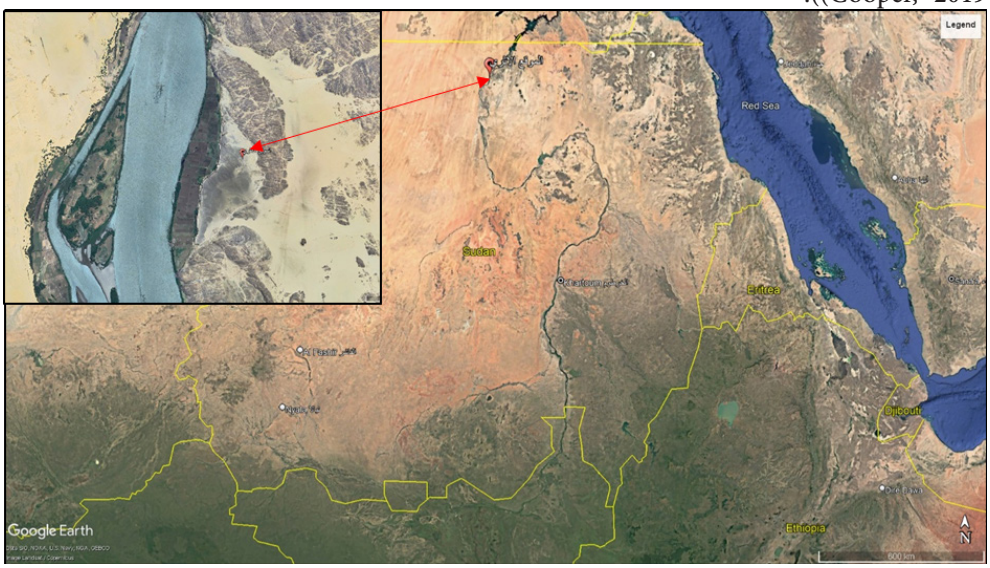

الشكل رقم (1) يوضح الموقع الجغرافي (لموقع سركمتو الأثري)

سجلت بعثة مشروع مسح الصحراء الشرقية ووثقت المقابر المرئية على السطح، بينما أجرى بول وردز من بعثة SARS التصوير بطائرة بدون طيار الشكل رقم 2)، تم مسح الموقع سابقاً كجزء من عمل توني ميلز Tony Mills وتم تقديمه ونشره بواسطة (David Edwards (Cooper, 2019.

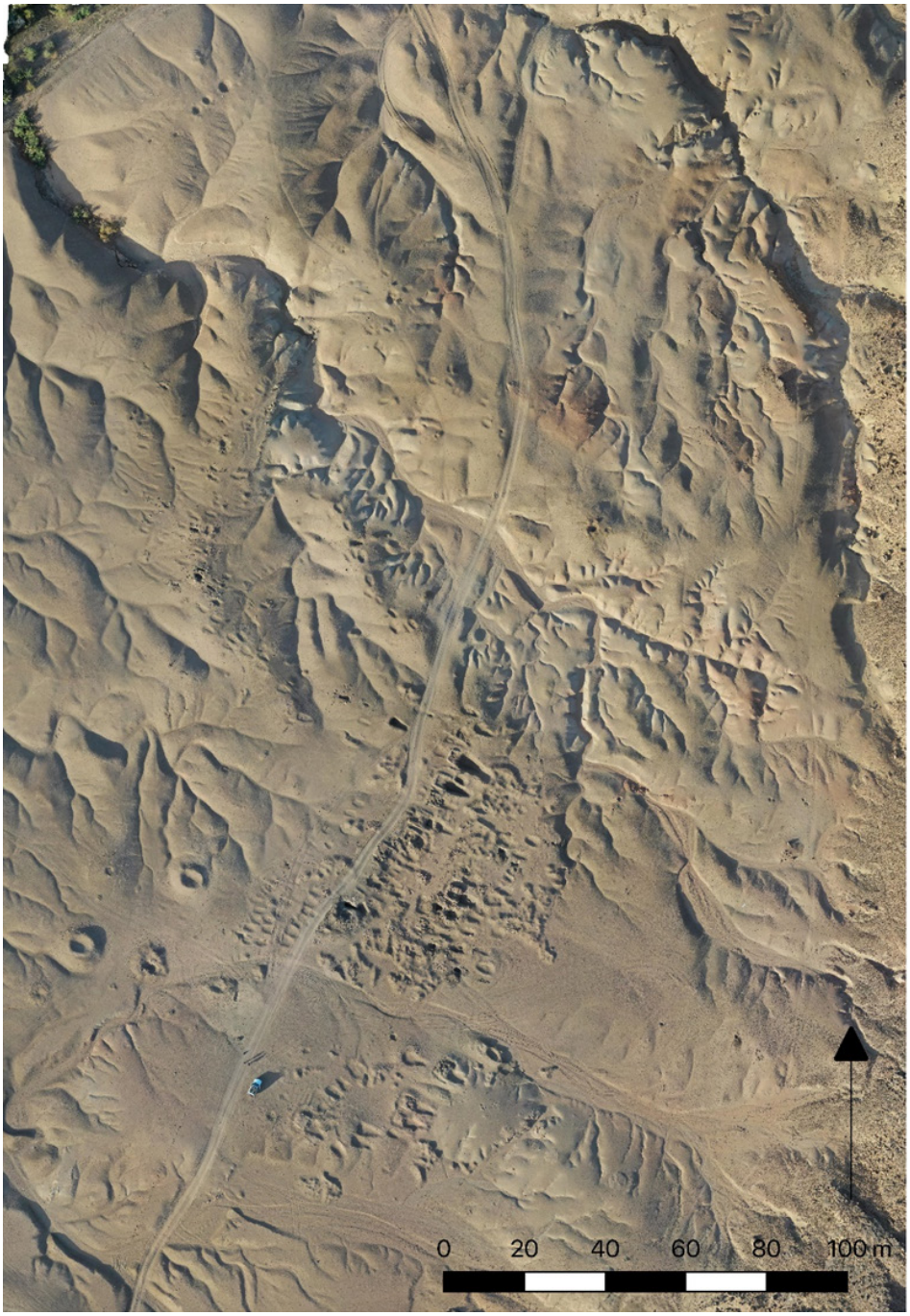

الشكل رقم (2) تصوير جوي للموقع (توني ميلر و جوليان كوبر 2019) 3.

3. شكل المدافن:

تحتوي هذه المدافن على بناء فوقي من الطوب اللبن والحجر ومصليات هرمية حجرية (الشكل رقم 3)، مع ممرات منحدرة تؤدي إلى حجرة الدفن أيضاً يوجد بالموقع مدافن الأكوام الدائرية التي ترجع الى فترة ما بعد مروي (الشكل رقم 4)، كما توجد مدافن عبارة عن غرف يتم النزول اليها عن طريق سلم مقطوع في الأرض وتم تغطيتها بألواح من الحجر ربما ترجع لفترة المملكة المصرية الحديثة (الشكل رقم 5)، تحمل مجموعة كبيرة من المدافن دلائل مؤكدة على النهب والسرقة التي حدثت مؤخراً ، حيث يمكن رؤية القطع الأثرية والعظام البشرية متناثرة على الأرض بفعل اللصوص (عبد الباقي، 2019).

الشكل رقم (3) يوضح مدافن مروية منهوبة الشكل رقم (4) يوضح مدافن منهوبة مسقوفة على شكل اهرامات من الحجر وأخرى من بألواح من الحجر (المصدر، Julien Cooper2019) الطوب اللبن (المصدر، Julien Cooper 2019)

الشكل رقم (5) يوضح مدافن الأكوام الدائرية (فترة ما بعد مروي بموقع سركمتو (تصوير Julien Cooper 2019)

4.طريقة نهب المدافن:

في عـام 2019م لوحـظ ازديـاد في عـدد المدافـن التـي تعرضـت للنهـب وان الموقـع تعـرض الى التخريـب بصـورة كبـيرة، عـشرات المدافـن تـم نبشـها ونهبهـا وتخريـب محتوياتهـا، حيـث وضـع اللصـوص علامـة "X" عـلى الأرض (الشـكل 6) لتحديـد مـكان المقابـر لنهبهـا مسـتقبلاً وجـدت هـذه العلامـة في عـدد مـن المدافـن التـي لم تحفـر بعـد (عبـد الباقـي، 2019).

الشكل رقم (6) يوضح علامة (X) في مدفن غير منهوب بالموقع (تصوير الباحث 2019)

ومـن الواضـح ان اللصـوص قـد اكتسـبوا خـبرة في الدخـول للمقـبرة مـن المدخـل الرئيـسي وصـولاً الى غرفـة الدفـن في أغلـب المدافـن المنهوبـة، ومـن ثـم يتـم اسـتخراج محتويـات المدفـن مـن أثـاث جنائـزي ان وجـد وقـد لوحـظ ذلـك

في مدافن هرمية من الحجر وأخرى من الطين اللبن لم يعر اللصوص اهتماماً لتفكيك البناء الفوقي للقبر وانما اتجهوا مباشرة لحفر المدخل المنحدر في واجهة الهرم (الشكل رقم 7)،

وقد وجدت بعض أجزاء الهياكل العظمية والفخار المكسور خارج المقابر التي تم نبشها، ومن خلال محادثات مع بعض السكان اتضح ان هنالك مجموعات تنشط ليلاً في عملية حفر المدافن بحثاً عن القطع الأثرية، وقد تم العثور على دليل لوجود معسكر بالقرب من الموقع عبارة عن موقد نار يتكون من أحجار مرصوفة مع بقايا رماد ربما تم استخدامه بواسطة اللصوص أثناء نهب المدافن (الشكل رقم 8)

الشكل رقم (8) يوضح موقد نار حديث وجد بالموقع الأثري (تصوير الباحث 2018)

5.البقايا الأثرية:

من الواضح أن اللصوص لم يتركوا قطع أثرية مكتملة في أنقاض المدافن وجل ما تم العثور علية عبارة عن شظايا فخار وعظام بشرية وجدت خارج المدافن وفي بعض الأحيان وجدت داخل المدفن (الشكل رقم (9،10).

الشكل رقم (9،10) يوضح عظام بشرية وقطع فخار بموقع سركمتو (المصدر Julien Coop-er 2019)

ومن خلال التصوير الجوي يمكن الكشف عن مدى النهب وأنشطة التخريب والتعديات الحديثة على الموقع، ونود ان نوضح ان هنالك مدافن متفرقة لا تظهر ضمن التصوير تعرضت للنهب بما فيها مدافن في جزيرة (تينا) المقابلة للموقع منهوبة بصورة كبيرة (الشكل 11).

الشكل رقم (11) يوضح صورة جوية للموقع (المصدر Julien Cooper 2019)

الخاتمة:

ختاماً نخلص الى أن موقع سركمتو الأثري قد تعرض إلى عمليات نهب واسعة أدت الى فقدان أدلة مهمة كان لها أن تسهم في التاريخ الحضاري السوداني، تسبب في ذلك صائدو الكنوز والباحثين عن الذهب والقطع الأثرية الثمينة، وقد تم توثيق جزء كبير من هذه المدافن المنهوبة بالرغم غمرها بمياه الفيضانات التي حدثت مؤخراً في المنقطة وغطت العديد منها بطمي النيل وأدت إلى إخفاء دلائل التخريب ويمكن رؤية الوضع الراهن لهذا الموقع بإستخدام صور الأقمار الاصطناعية Google Earth.

مقترحات لحماية الموقع الأثري:

يقترح الباحث بعض الإستراتيجيات والتي إذا ما تم تطبيقها بشكل متكامل يمكن ان تقلل من خطر نهب المدافن الأثرية بشكل كبير والحفاظ عليها وعلى التراث الثقافي بصورة عامة للأجيال القادمة وللإنسانية جمعاء.

- تشديد العقوبات: مراجعة قانون الآثار 1992م لتضمين عقوبات صارمة على عمليات التنقيب غير المشروع والنهب وضمان تطبيق العقوبات على الجميع دون استثناء وتوفير الدعم للأجهزة القضائية والأمنية
- التسجيل والتوثيق: اجراء سجل شامل لجميع المدافن في الموقع مما يسهل متابعة أي أنشطة غير مشروعة حديثة في الموقع.
- اشراك المجتمع المحلي: التعاون مع المجتمع المحلي واشراكهم في إدارة وحماية الموقع بإعتبارهم خط الدفاع الأول في التصدي للسارقين، إضافةً رفع الوعي لديهم عن طريق اجراء حملات تثقيفية عن أهمية التراث الثقافي ودورة في تعزيز الهوية الوطنية وضرورة المحافظة عليه.
- اجراء دراسات ميدانية لفهم أسباب نهب المدفن الأثرية في هذه المنطقة وطرق في مكافحتها بفعالية.

التوصيات:

يوصي هذا التقرير بضرورة التدخل العاجل لإيقاف التعديات على الموقع ومنع عمليات السرقة والتنقيب غير المشروع في الموقع وحماية الموقع بإتخاذ التدابير المناسبة كالتسوير وتعيين خفير للموقع بالإضافة إلى المراقبة الدورية بواسطة شرطة السياحة والأثار واجراء حفرية إنقاذيه لتوثيق المدافن التي تعرضت للنهب وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذا الموقع المهم.

شكر وعرفان:

الشـكر مقـدم إلى فريـق بعثـة المسـح الأثـري في الصحـراء الشرقيـة (Atabi Survey Project) بقيـادة جوليـان كوبـر لمسـاعدتهم الفاعلـة في هـذا العمـل بالتصويـر والتوثيـق ومشـاركتهم بتقاريرهـم غـير المنشـورة مـع الباحـث لإخـراج هـذا التقريـر، أيضـاً مـا كان لهـذا العمـل ان يتـم لـولا مشـاركة مبـارك أدم وصالـح محمـد صالـح سـائقي البعثـة فخالـص الشـكر والتقديـر لجهودهـم.

Bibliography:

(1) Cooper, J. (2019). NCAM Report – Atbai Survey 2019. Unpunished Report Presented for NCAM.

(2) Dunham, D. (1950). The royal cemeteries of Kush. Boston: Published for The Museum of Fine Arts by Harvard University Press Cambridge Massachusetts.

(3) Dunham, D. (1957). The royal cemeteries of Kush v ii. Boston: the Museum of Fine Arts.

(4) Priese, K. (1993). The gold of Meroe. Library of Congress Cataloging-in-Publication Data.

(5) اليونسكو. (2006). التدابير القانونية والعملية لمكافحة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية . دليل اليونسكو. باريس: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة UNESCO.

(6) ايكروم. (2016). حفظ التراث الثقافي في المنطقة العربية: في قضايا حفظ المواقع التراثية وادارتها. ICCROM.

(7) جمال عليان. (2005). الحفاظ على التراث الثقافي، نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث، . الكويت: مطابع السياسة الكويت.

(8) عبدالباقي حذيفة عبد الماجد. (2019). سرقات ونهب المواقع الأثرية بموقع سركمتو. تقرير غير منشور مقدم للهيئة العامة للأثار والمتاحف.